المحاضرة رقم (9): المدخل الدرامي

الأهداف التدريسية:

- ✓ تلقين الطالب المفاهيم والبناءات المعرفية الأساسية التي قامت عليها نظرية غوفمان
- ✓ فهم الاختلافات والعلاقة بين النموذج الأوركسترالي ونظرية غوفمان الدرامية

الاتصال والنظام التفاعلي:

يلخص إيرفنغ غوفمان* اهتمامه بالاتصال في ما قاله في محاضرته عن "**نظام التفاعل**" فهو يرى أن نظام التفاعل ما هو إلا دارسة وتحليل مجال الاتصال وجها لوجه، وهو ما يؤكده تعريفه للنظام الاجتماعي بأنه "ليس دراسة جماعة ما، هذه السلوكيات تدل على استحالة أن لا نتصل كما يقولو منظرو بالو ألتو الأمريكية"، ويضيف غوفمان في دراسة أخرى "عندما يجتمع أفراد في وضعيات ما تفرض أن لا يتم تبادل الكلمات وفعل الكلام، فإنهم سواء أرادوا أو لم يريدوا يدخلون في شكل من أشكال الاتصال... فحتى وإن توقف الشخص عن الكلام فإنه لا يمكنه أن يمتنع عن الاتصال بلغة الجسم"[1]، فالتواصل عند غوفمان حاظر بكل قوة إلى درجة أنه لم تعد هناك حاجة لذكره على النحو الذي قدمه مناصرو الرؤية التلغرافية، فحسب قوله "أضم صوتي لأنصار النظرة الأوركسترالية وعلى رأسهم برودوستيل بكلمة واحدة ومن دون إطالة، اعتبر هؤلاء دائما أننا نشارك في التواصل عوض أن ننتجه وأننا أعضاء في مجموعة في مجتمع، لأنه يمكن التنبؤ بسلوكنا وأننا ننجز ثقافة باستمرار عبر افعالنا وحركاتنا"[2]

يمكن فهم الترابط الذي يحكم العلاقة بين النظام الاجتماعي والنظام التفاعلي والاتصال عند غوفمان، فدراسة النظام الاجتماعي ما هي سوى دراسة لنظام تفاعلي ينطلق من وحداته الصغرى التي تتلخص في اتصال بين شخصين

---

*إيرفنغ غوفمان Irving Goffman (1922- 1982) عالم نفس اجتماعي كندي أمريكي، ترجع أصوله إلى أسرة يهودية أوكرانية اشتهر بطريقته في دراسة التواصل الاجتماعي وجها لوجه، ولد في ألبرتا في كندا 1922، وقد التحق بجامعة شيكاغو التي نال منها شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع عن أطروحته "سلوك الاتصال في مجتمع الجزيرة"، شغل منصب أستاذ في العديد من الجامعات وله مؤلفات عظيمة منها كتاب المصحات، كتاب الوصمة، كتاب تحليل الإطار، كتاب تقديم الذات في الحياة اليومية.

[1] باديس لونيس، إرفنغ غوفمان والظاهرة الاتصالية: قراءة ابستيمولوجية في أهم أفكاره التنظيرية، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 10، العدد 4، 2018، ص 725.

[2] ايف وينكن، مرجع سبق ذكره، ص 123.

وجها لوجه، وهي الفكرة التي ارتكزت عليها إسهامات بالو ألتو وتبناها غوفمان وهي "حتمية الاتصال"، وهي التي تشكل الخلفية المعرفية التي تنطق منها دراسات غوفمان، والقاعدة التي تؤسس لبقية القواعد، التي حاول من خلالها أن يشرح ويفسر نظام تفاعل ما في مجتمع ما، والذي يراه غوفمان أي نظام التفاعل ينبغي أن يعامل كمجال جوهري وأساسي وكمجال مستقل، ويضع غوفمان بعض الوحدات الأساسية لنظام التفاعل يرتبها من الأصغر إلى الأكبر[3]:

1. الأفراد والأشخاص الفاعلين.
2. أسلوب الاتصال؛ إما من خلال الحضور الفيزيقي المشترك، أو من خلال المحادثات الهاتفية، أو من خلال تبادل الرسائل.
3. المواجهات أو الترتيبات التي ينضم فيها الأشخاص إلى دائرة فيزيقية صغيرة كمشاركين واعين في مشروع مشترك قائم على الاعتمادية المتبادلة.
4. منصة الأداء وتشمل المكان الذي يهيأ فيه النشاط قبل الجمهور.
5. المناسبات الاجتماعية الاحتفالية: وهي جموع من الأفراد في مناسبة ذات شرف وتحظى بتقدير مشترك حيث يصل المشاركون ويغادرون بطريقة منسقة، وهذه الوحدة الأخيرة تمثل الوحدة التفاعلية الأكبر التي يذكرها غوفمان حيث إن هذه الوحدة يمكن أن تتم هندستها لتمتد إلى عدد من الأقسام.

دراميات التفاعل الرمزي:

يتبنى غوفمان منطلقات نظريته الدرامية (Dramaturgical Theory) في فهم مختلف تجليات الحياة الاجتماعية وتشكّلاتها، فالعالم كما يراه غوفمان مسرح كبير يتفاعل فيه البشر، ويتشكّلون، وفي معترك هذا التّفاعل تولد الحياة الاجتماعيّة وتتجلى في أكثر معانيها عمقاً وأصالةً، وقد شبه الحياة الاجتماعية وما يدور فيها بمسرح كبير يؤدي فيه كل فرد أدواراً متنوّعة تتناسب مع معطيات المواقف التي يعيشها أو يواجهها، والدّور الذي يؤديه الفرد قد يكون مغايراً لطبيعته الحقيقية شأنه شأن الممثل الذي يجسّد شخصية الآخر وتمثلها، وغالباً ما تكون الشخصية التي يقدّمها مغايرة للشخصية الحقيقة التي يكون عليها الممثل، وهذا يعني أنّ الأفراد في سلوكهم اليومي غالباً ما يتغافلون عن

[3] باديس لونيس، مرجع سبق ذكره، ص 725.

شخصياتهم الحقيقيّة، ويُظهرون ما يخالفها على صورة ما يتطلبه الموقف الحياتي بما ينطوي عليه من غايات ومطالب، ويحاول الأفراد عند قيامهم بأدوارهم الاجتماعية المطلوبة تقديم الدور بوصفه تجسيداً حقيقاً لشخصياتهم وهذا يعني أن الأمر التّمثيلي يتطلب منهم إخفاء الحدود الفاصلة بين شخوصهم الحقيقية وشخوصهم التّمثيليّة[4].

تأسست مقترحات غوفمان الدرامية بناء على ملاحظاته اليومية للممارسات الإنسان ومدى تشابهها بالعروض المسرحية، حيث يرى أن تواصل الأفراد ناتج عن الانطباعات التي تحدث نتيجة تغيير أو تعديل سلوك الإنسان، ومظهره وطرقه في التفاعل، وهذا ما يشبه العروض المسرحية، كما يحاول الأفراد الحصول على معلومات تتعلق بمن يتفاعلون معهم فيؤكد أن "المعلومات المتعلقة بالفرد تساعد في تحديد الموقف الآخرين وتمكين الآخرين من معرفة ما يتوقعه منهم وما قد يتوقعونه منه"[5]، وركز غوفمان جهوده الإمبيريقية على ملاحظة سلوكيات الأفراد اليومية، ويمكن استعراض أهم الديناميات أو العمليات التي تحكم السلوك الإنساني حسب غوفمان على النحو الآتي[6]:

- **من أجل وجود تفاعل اجتماعي**: ومن أجل تحقيق ذلك وجب وجود أشخاص يقومون بذلك ويتفاعلون "الفاعلون المزعومون".
- **في التفاعل**، تبادل الانفعالات والانطباعات بين الأشخاص. وتشكل الموضوعات بواعث وأجهزة استقبال وفي الوقت نفسه: كلاهما ممثل وجمهور.
- الوسيلة الاتصالية.
- المعلومات بين الأفراد والمجموعات.
- **المؤثر والاستجابة**: يؤدي تلقي الأفراد للرسائل والمعلومات في ظل التفاع الاجتماعي إلى حصول ردود أفعال من الطرف المتلقي ويؤدي تدوير العملية الاتصالي إلى تشكيل الموقف التفاعلي.

---

[4] علي أسعد وطفة، دراميات التفاعل الرمزي في نظرية إيرفنغ غوفمان/ المدخل الدرامي لفهم السلوك البشري، مدارات ثقافية، متاح على الرابط: https://www.madaratthakafia.com/2023/06/mad-details05062023-01.html تم الاطلاع عليه يوم: 2024/03/28.

[5] حيفظة ضربان وصورية رمضاني، عرض الهوية في الحياة الافتراضية دراسة سوسيولوجية لتقنيات عرض الذات عبر مواقع التواصل الاجتماعي – الفيسبوك أنموذجا– مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 2، 2021، ص 251.

[6] علي أسعد وطفة، مرجع سبق ذكره.

- **الثقة والاهتمام**: تعتبر من العناصر الأساسية لتحقيق التفاعل بين الأفراد والمجموعات.
- **التكيف**: تحدث غوفمان ديناميات التكيّف والتسويةAdjustment ويعني بالتسوية التأقلم أو التكيف (Adaptation)وهي العملية التي تساعد الفرد على التكيف الواقعي في معترك التفاعل الاجتماعي.
- **أداء الدور**: يرى غوفمان أن الدور يقع في صميم طقوس التفاعل، والأدوار كما يراها تتشكل من مجموعة من المعايير التي تحدد واجباتنا على أنها الأفعال التي يقرّر الآخرون مشروعيّة أدائنا لها، فالدور يتشكل من مجموعة مترابطة من الأنشطة المتشابكة مع الأنشطة الأخرى للناس، فلا يوجد زوجات من دون أزواج، ولا مريض بدون طبيب، ولا أستاذ دون تلميذ، وعليه فإنّ ارتباط الأفراد معاً في جماعات يتمّ خلال شبكة الأدوار المتبادلة.
- **الإغفال المهذب**: وهو يعني الامتناع عن اقتحام حياة الأخرين.
- **الأداء** :(**Performance**) وهو مفهوم مركزيّ في النسق الدراماتورجي، ويرمز إلى جميع النّشاطات والفعاليات التي يقوم بها الفرد أمام مجموعة معيّنة من الأفراد الآخرين الذين يمثلون دور المشاهدين والمراقبين. يعبر الأداء عن هوية الفرد الاجتماعية، وهو في أدائه يسعى إلى صقل هويته، وإبرازها بوضوح أمام الآخرين المتفاعلين، ومن خلال هذا الأداء يعطي الأفراد الممثلون معنى لأنفسهم ودلالة يراد بها إقناع الآخرين (المشاهدين).
- **المؤدي** :(**Performer**) وهو الفرد الفاعل الذي يقوم بالتّمثيل، أي الشخص الذي يجب عليه توليد الانطباعات بأدائه الممكن على خشبة المسرح.
- **التواصل غير اللفظي**: يؤدي التواصل غير اللفظي (بالإضافة إلى اللفظي) أهمية كبيرة في عملية التفاعل، ويشير غوفمان إلى وجود رسائل كثيرة يتم تبادلها عن طريق التواصل غير اللفظي.